مريض النفس ، ضيق الأفق ، تدلى إلى الدرك الأسفل من اقتراف جريمة القتل البشعة ، تحت وطأة الملابسات المحيطة به ، فكيف يكون التشريع السليم ضيق الأفق مثله ، يساويه فى بشاعة جرمه ؟ ... وكيف يلى قتله قضاء هو المثل الأعلى لحصافة الرأى ، وسمو القصد ، وحكمة الاعتدال ؟...

كل هذا حق ، ولكن الشريعة التى يراد لها أن تحكم البشر يجب أن تكون شريعة واقعية تستمد من البشر طابعها الأصيل ، فلو اصطنعنا لهذا المجتمع شريعة ملائكية لما صلحت له ، بل لفسد المجتمع بها أيما فساد ! ...

انظر إلى هذا المجتمع البشرى نظرة عميقة ، تؤمن بأن القصاص طبيعة فيه ، وأنه نظام يسوده فى مختلف شئونه ، ظاهرها وخافيها ، وأكاد أقول بأن هذا القصاص طبيعة للكون كله لا تتحول ، نظام لا يتخلف ، وصدق الله : « ولكم فى القصاص حياة » ! ...

فالإسلام حين أقر القتل بالقتل أنما أقره لأنه شريعة من السماء ، تراءت فيها فطرة الخلق وطبيعة الإنسان ! ...

بيد أن الشريعة الإسلامية حين تطابق الواقع البشرى ، وحين تلائم النفس الإنسانية ، لا تقف جامدة إزاء أحلام التطور الاجتماعى ، ولا تعيا عن متابعة درجات السمو الفكرى ، فإن